وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: تأمل- أخي- كيف جاء هذا الحديث بأسلوب الشرط الذى يُضْفِي على الأسلوب تشويقًا، وإثارة كي يتطلع المخاطب لمعرفة الجزاء، وترقّب النتيجة، وجاء اسم الشرط (مَنْ) وهو الذى ينادى به العقلاء وكأن (من) تنادى: يا كل عاقل.. يا كل عبد.. يا كل مسلم أقبلْ.. وتدبر.. وافهم ما تقول.

سبحان الله: أي أُنَزِّه المولى عَمّا لا يليق به، وأَنْفِي عنه كل نقص، أنزِّه ذاته من كل عيب، وصفاته من كل سوء، وأفعاله من أي ظلم.

وبحمده: أي أثبت لك ربى كل جلال وأصفك بكل كمال.

حق رباني

* إن التسبيح حق من حقوق المولى ﷻ التي يختص بها وحده، وهو قُرْبَى من أجَلّ القربات، بها جاءت الآيات وتوالت الأحاديث كما قال ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق]. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر].

وأحاديثه ﷺ تناديك:

* قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلاَمِ إِلَى الله**». قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلاَمِ إِلَى الله. فَقَالَ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْكَلاَمِ إِلَى الله سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[1]، وهو ما اصطفاه الله لملائكته من التسبيح.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣١).

وعَنْ أَبِي هريرة قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلِمَتانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللسَانِ، ثقيلتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر لعلي وأصحابه عنده رضي الله عنهم (لا إله إلا اللّه) قد عرفناه، فما سبحان اللّه؟ فقالَ له علي رضي الله عنه: كلمة أحبَّها الله لنفسه ورَضيها وأحبّ أن تُقَال(٢).

❁ ❁ ❁

الوقفة الثانية: بركات وخيرات:

١) التسبيح مُكفر للآثام وإن كانت مثل زبد البر: لقوله ﷺ: «حُطّتْ عنه خطاياه»: أي آثامه وذنوبه، ولو كانت كثيرة عظيمة مثل زبد البحر؟ لأن التسبيح تنزيه لله ﷻ من كل سوء، فكان الجزاء من جنس العمل. فيا من سبّحت مولاك، ونزهت خالقك عن كل عيبٍ هاهو المنان ينزهك ويطهرك ويعطيك الأجر الوفير.

ولتعلم- أخي- أن تسبيحك ليس قولًا مجردًا يُقال، بل هو اعتقاد قلبي يصحبه سلوك عملي فإذا كنت مُسبحًا لربك مُنزهًا له من كل سوء، حامدًا له ونافيًا عنه كل نقص فإن ذلك مستلزم بطبيعة الحال تعظيم أمره، وتقديس شرعه.

التسبيح أثقل من الجبال:

قال ﷺ: «**مَنْ هَالَهُ اللَّيلُ أَنْ يكَابِدَهُ، أَو بَخِلَ بِالمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، أَوْ جَبُنَ عن**

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٤).

(٢) ابن أبى حاتم في تفسيره (١/ ١١٧).

العَدُوِّ أَنْ يُقَاتِلَهُ، فَلْيُكْثِرْ من: سُبْحَانَ الله وبحمده، فإنَّها أَحَبُّ إلى الله مِنْ جَبَل ذَهَب يُنْفِقَهُ في سبيلَ الله ﷻ[1].

فضائل إلهية

أي سعادة بفضل ربك عليكَ الذي أكرمك بهذا الذكر، وأعانك عليه، وتفضل عليك بالأجر العظيم.

«لَمْ يَأتِ أَحَدٍ يَومَ القِيَامَةِ بأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»[2].

مفهوم قوله ﷺ: «**أو زاد عليه**»: أن الثواب على قدر العمل، ولكن الإشكال في المماثلة «**قال مثل ما قال**» فإن المماثلة تقتضي المساواة لا الأفضلية، فكيف هذا؟!

«أجيب عن هذا بأن هنا استثناء منقطع والتقدير: لم يأت رجل بأفضل مما جاء به، لكن رجل قال مثل ما قاله. فإنه يأتي بمساوٍ له، أو التقدير: لم يأت أحد بمثل ما جاء به ولا بأفضل منه، إلا أحد قال مثل ما قاله، وقيل المعنى: أن من قال ذلك أتى بأفضل مما جاء به أي أحد إلا أحد قال ذلك فإنه مساوٍ له أو زاد عليه فإنه أفضل منه[3].

* والمراد بالأفضل منه جنس أذكاره، لأنه أفضل الأدعية، لا أنه أفضل من جميع الأعمال فإن الإيمان وكثيرًا من الطاعات أفضل منه».

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٧٨٧٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٥٤١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٥٨).

(٣) الفتوحات الربانية، ابن علان البكري سالم (١/ ٦٧٠).

وقفة تدبر

لِمَ جمع النبي ﷺ جميع أنواع التسبيح والحمد: في قوله: سبحان الله وبحمده؟

* لأن التسبيح تنزيه للمولى سبحانه، وتعظيم له، أما الحمد فهو إثبات لكل كمال، ونفي لكل نقص، فهما معًا يدلان على إثبات كل كمال لله ونفي كل نقص في حقه ﷻ.

* لأن التسبيح خاص بالقلب، والتحميد خاص بقول اللسان الموافق لاعتقاد القلب وتكون الباء للمصاحبة بمعنى: «مع».

* لأن التسبيح يراد به التنزيه قولًا واعتقادًا، والتحميد يراد به التوفيق والإنعام وتكون الباء هنا «للسببية» فكأنك تسبح مولاك من أجل توفيقه لك وإنعامه عليك.

* لأن التسبيح يراد به التنزيه قولًا واعتقادًا، والتحميد يراد به الرضا، فكأنك تسبح مولاك محبًا له راضيًا عن حكمه وقدره وأمره، أو أن التحميد يراد به الأمر، فكأنك تسبح ربك امتثالًا لأمره لك بتسبيحه وتحمده على ذلك.

* لأن التسبيح يراد به الصلاة، والتحميد يراد به الثناء، والباء هنا للاستعانة كما في قوله ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه]، أي صل بثنائك على ربك، أو ليكُنْ ذكرك بالحمد والشكر لربك.

* لأن التسبيح يراد به الصلاة، والتحميد يراد به الأمر كما في قوله ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي صَلِ بأمر ربك المحمود على ما شرع وأمر، أو صَلِ الصلاة التي أمرك بها ربك.

* لأن التسبيح يراد به التنزيه والتطهير، والتحميد يراد به الثناء، والباء صلة زائده كما في قوله ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى]، أي اختر لربك أطهر المحامد، أو طَهِّرْ محامد ربك عن الرياء، وعن التوسل بذكرها إلى الأغراض الدنيوية، أو طهر محامد ربك عن أن تقول جئت بها كما يليق به ﷻ.

وإجمالًا:

فإن صيغة التسبيح المقرون بالتحميد من أكمل صيغ الثناء على الله تعالى، لأن التسبيح دال على تنزيهه عن كل ما لا يليق به من النقائص والعيوب والأمثال، والتحميد دالٌ على إثبات ما يليق به من المحامد والفضائل وصفات الكمال.

فنفى بـ«سبحان اللّه» كل نقص عن الله تعالى، وأثبت بـ«حمده» كل وصف كمال وجلال ثابت لله ﷻ[1].

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٠٧).

سُبْحَانَ اللَّه وَالحَمْدُ لِلَّهِ
ولَا إِله إلا اللَّه واللَّه أَكْبَرَ

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من قَالَ: سُبْحَانَ الله مَائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مَائَةِ بَدَنَةٍ. ومَنْ قَالَ: الحَمْدُ لله مائةَ مَرَّة قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مَائَةِ فَرَسٍ يُحْمَل عَلَيْهَا. ومن قال: الله أَكْبَرُ مَائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أفضلَ من عِتْق مائة رَقَبَةٍ. ومنْ قالَ: لا إِلَهَ إلا الله وحْدَهَ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ على كلِّ شيء قَدِير مَائةَ مَرَّة قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ غُرُوبِها لم يَجِئْ يَومَ القيامةِ أحدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ من عَمَلِهِ إلا من قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ أو زَاد[1].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٥٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٥٨).

مكافآت ربانية

١- التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير أحب الكلام إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ: لقوله ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلاَمِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ ولَا إِلَهَ إلا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لاَ يَضُرُّكَ بَأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ.»[(١)].

وقوله ﷺ أيضًا: «لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ ولَا إِلَهَ إلا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[(٢)].

وقوله: (مما طلعت عليه الشمس). يعني: من الدنيا وما فيها[(٣)].

وإنما كانت هذه الكلمات أحب إلى الله تعالى لأنها مدح وثناء على الله ﷻ والنبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أجل ذلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَمَا أَحَد أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ الله»[(٤)]. فسبحانه يمدح نفسه بما له من صفات الكمال، ونفى النقائص.

٢- الله ﷻ اصطفى من الكلام هذه الأربع: قال ﷺ: «إن الله اصطفى من الكلام أَرْبَعًا سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْد لِلهِ ولاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللهُ أَكْبَرُ»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (٧/ ٢٢- ٢٣)، وتحفة الذاكرين، للشوكاني، ص٣٦٨.

(٤) متفق عليه: البخاري برقم (٤٦٣٤) ومسلم (٢٧٦٠).

(٥) أخرجه أحمد في المسند برقم (٧٩٩٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٧٦). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٥٥٤).

٣- هذه الكلمات من أطيب الكلام:

قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنْ أَطْيَبِ الكَلاَمِ وَهُنَّ مِنَ الْقُرْآنِ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأتَ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله ولاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**»(١).

وقوله ﷺ: «**وأطيب الكلام**». أي: أزكاه وأحسنه، وقوله ﷺ: «**وهن من القرآن**» يريد أن هذه الكلمات موجودة في القرآن(٢).

أما الثلاث: سبحان الله، والحمد للّه، ولا إله إلا الله فباللفظ، وأما الله أكبر فبالمعنى؛ لأنها لم ترد في القرآن لفظًا.

٤- هذه الكلمات أفضل الكلام بعد القرآن الكريم:

قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الكلام بَعْدَ الْقُرْآنِ أَرْبَع وَهُوَ مِنَ الْقُرْآنِ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأتَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحمدُ لله ولاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالله أَكْبَرُ**»(٣).

وهذا الحديث يقتضي أن هذه الكلمات أفضل من غيرها من الكلمات سوى القرآن؟ وقوله ﷺ: «**وهي من القرآن**». أي باعتبار ألفاظها من القرآن لوجودها فيه وباعتبار نظمها ليست بقرآن وليست آية متلوة(٤).

٥- أن هذه الكلمات دليل إسلام العبد واستسلامه لله تعالى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ لِي نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَلْ أدلُّكَ**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٠٢٣٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٦).

(٢) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، ص١٦١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٢٣٦) وابن ماجه بنحوه في سننه برقم (٣٨١١) وقال عنه الألباني: وهذا إسناد صحيح انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (١٤٩٨).

(٤) انظر. شأن الدعاء، للخطابي، ص١٦١، والعلم الهيب، للعيني، ص١٠٤.

عَلَى كَنْزٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ تَحْتَ العرشِ. قَالَ: قُلتُ نَعَمْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. قَالَ: أَنْ تَقُولَ لا حول ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ. فَإِنَّ الله ﷻ يَقُولُ: أَسْلَمَ عبْدِى وَاستسلم»[(١)].

- وفي هذا الحديث زيادة كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) على الكلمات الأربع وهي كلمة عظيمة؛ لأنها دالة على التبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله ﷻ وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة له في جلب خير إلا بإرادة الله ﷻ[(٢)].

٦- هذه الكلمات سبب لتكفير الذنوب وإن كانت كثيرة: دلَّ على ذلك حديث (أَنَسٍ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ غُصْنًا فَنَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ ثُمَّ نَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ ثُمَّ نَفَضَهُ فَانْتَفَضَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنّ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ ولاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تنفُضُ الْخَطَايا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَه وَرَقَهَا**»[(٣)].

وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الْوَرَقِ فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ فَتناثر الْوَرق فَقَالَ: **إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ وَسُبْحَانَ اللهِ ولاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هذه الشَّجَرَةِ**[(٤)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (١٨٥٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٧/٢٦- ٢٧) وفتح الباري، لابن حجر (١١/٥٠١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥٥٦) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٦٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، وفي صحيح الجامع برقم (٢٠٨٩).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٥٣٣) وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٠١).

ودل عليه أيضًا حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ ولا حَولَ ولاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرْ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»[١].

٧- **هذه الكلمات وسيلة لكسب الحسنات**: كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أربَعًا سُبحَانَ اللهِ وَالْحَمدُ لِلهِ ولاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَمَنْ قَالَ سبحَانَ اللهِ كَتَبَ اللهُ له عشرينَ حَسَنَةً أَوْ حَطَّ عنه عِشْرِينَ سَيِّئَةً وَمَنْ قَالَ اللهُ أَكْبَرُ فمثل ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمِثل ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لَهُ ثلَاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّ عَنْهُ ثلاثون سَيئَةً**»[٢].

ويزيد ثواب الحمد عندما يقوله العبد من قبل نفسه زيادة على الأربع المذكورة، وذلك لأن الحمد يقع غالبًا بعد حدوث نعمة من أكل أو شرب أو نحوهما، فإذا أنشأ العبد الحمد من قبل نفسه زاد ثوابه[٣].

٨- **هذه الكلمات أكثر ثوابًا من إعتاق الرقاب من ولد إسماعيل**: يدل على ذلك قول الرسول ﷺ: «**لأَنْ أَذْكُرَ اللهَ تَعَالَى مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْس أُكَبِّرُ وَأُهَلِّلُ وَأُسَبِّح أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعتِق أَرْبَعًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَلأَنْ أذكَرَ اللهَ مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إِلى أنْ تغِيبَ الشمْسُ أحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٤٧٩) والحاكم في المستدرك برقم (١٨٥٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٧٩٩٩) والحاكم (١٨٨٦) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٧١٨).

(٣) انظر: تحفة الذاكرين، للشوكاني، ص٣٧١، وفقه الأدعية والأذكار، للدكتور عبد الرزاق البدر، ص١٦١، ١٦٢.

كَذَا وَكذَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعيلَ»[١]..

ووصف الرقاب في هذا الحديث بكونهم من ولد إسماعيل؛ لأنهم أشرف من غيرهم من العرب، فضلًا عن العجم[٢].

٩- هذه الكلمات تعدل: إنفاق المال وجهاد العدو ومكابدة الليل: كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاقَكُمْ كَمَا قَسَّمَ بَينكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وإنَّ الله تعالى يُعْطِي المَالَ مَنْ أَحَبَّ ومَنْ لا يُحِبُّ، ولا يُعْطِي الإيمان إلا من يُحب، فمَنْ ضَنَّ بالمَالِ أنْ يُنفقَهُ، وخَافَ العَدوَّ أَنْ يجَاهِدَهُ، وهَابَ اللَّيلَ أَن يُكَابِدَهُ، فَليُكْثر من قول: لا إله إلا الله وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ لله واللّه أكبر**»[٣].

❁ ❁ ❁

وينبغي أن لا يفهم من هذا الحديث ونحوه أن الاشتغال بالذكر أفضل من غيره من الأعمال في كل وقت وفي كل حال فقد يكون المفضول فاضلًا وذلك بحسب اختلاف الأوقات والأحوال، ومعرفة تفاضل الأعمال ومناسباته وهذا باب مهم في الفقه في الدين يؤدى الجهل به أو تجاهله إلى خلل في طريقة التعبد لله تعالى، لكن مما هو مجمع عليه بين العلماء أن ملازمة ذكر الله تعالى دائما هو أفضل ما شغل به العبد نفسه في الجملة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٢٣٩) والطبراني في الكبير برقم (٨٠٢٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: أسانيده حسنة، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٢٠٥) وفقه الأدعية والأذكار، للدكتور عبد الرازق البدر، ص١٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٥) وقال الألباني في تعليقه على الحديث في الأدب المفرد «صحيح موقوف في حكم المرفوع».

والأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة[١]، فوقت الصلاة أفضل إذا دخل وقتها، ووقت الجهاد أفضل إذا نودي حي على الجهاد، وهكذا سائر الأعمال.

كل واحدة منها صدقة: ويدل على ذلك حديث أبي ذر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: **يصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى[٢] مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَة فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَة وَكُل تَحْمِيدَةٍ صَدَقَة وَكُلُّ تَهْليلة صَدَقَة وَكُلِّ تَكْبيرَة صَدَقَة وَأَمْرٌ بِالْمعَروفِ صَدَقة وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَة وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى[٣]**.

وحديث عائشة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدمَ من عَلَى سِتِّينَ وثلاثمائَةِ مَفْصِلٍ فَمَن كَبَّرَ اللهَ وَحَمِدَ اللهَ وَهَلَّلَ اللهَ وَسَبَّحَ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيق النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيق النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَي عَن مُنْكَرٍ عَدد تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلاثِمِائَةِ السُّلامَى فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ**»[٤].

* ومعنى الحديثين أن كل مفصل من مفاصل ابن ادم عليه صدقة؛ لأن تركيبه على هذه المفاصل وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فيحتاج كل مفصل منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون شكرًا لهذه النعمة. فإذا ذكر الله تعالى بهذه الكلمات عدد ذلك المفاصلَ ثلاثمائة وستين فإنه قد تصدق عن نفسه، ويكون ذلك سببًا لزحزحته عن النار.

---

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٦٦٠) و (٢٢/ ٣٤٨).

(٢) السلامى: جمع سلامية وهي الأنملة من أنامل الأصابع.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٢٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٣٧٧).

١٠- هذه الكلمات جُنَّة لقائلها من النار: قال رسول الله ﷺ: «خذوا جُنَّتَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، أمِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ؟ قال: لا ولكن جُنَّتَكُمْ من النَّار قُولُوا: سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَر، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَة إِلَّا بِاللّهِ، فَإِنَّهُنَّ يَأتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»[(١)].

وفي لفظ: «فإنَّهُنَّ يَأتِينَ يَومَ القيامة مُنجبات ومقدمَاتٍ»[(٢)].

وفي هذا الحديث دليل على أن هذه الكلمات تكون سببًا لنجاة قائلها من النار، وأنها تأتي يوم القيامة مقدمات أمام قائلها، ومعقبات من ورائه تستره وتقيه من النار، وهذا فضل عظيم.

قال الإمام ابن القيم: «الذِّكر سدّ بين العبد وبين جهنم. فإذا كانت له إلى جهنم طريق لعمل من الأعمال كان الذِّكر سدًّا في ذلك الطريق. فإذا كان ذِكرًا دائمًا كاملًا كان سدًّا مُحكمًا لا مَنفَذ فيه»[(٣)].

١١- أنها غراس الجنة: يدل على ذلك قول الرسول ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ

(١) قال الشوكاني: قوله: (منجبات) بضم الميم وفتح الجيم ثم نون مشددة مفتوحة وبعدها باء موحدة أي: مقدمات أمامكم وقيل: هي بكسر النون المشددة جمع مجنبة وهي التي تكون في الميمنة والميسرة والأول أولى بدليل قوله في الحديث: معقبات، والحديث أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٨٤٨) واللفظ له، والحاكم في المستدرك برقم (١٩٨٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٢٠٤).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص٧٥.

(٣) الوابل الصيب، ابن القيم، ص١٠٩.

التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَان[١]، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[٢].

والمراد بهذا الحديث - واللّه أعلم- أن الجنة يزداد غراسها سريعًا بهذه الكلمات كما ينمو غراس القيعان من الأرض ونبتها[٣].

وجاء تأكيد هذا المعنى في حديث (أبي هريرة) ﷺ أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسًا فقال: «يا أَبَا هُرَيْرَة مَا الذي تغْرِسُ قُلتُ غِرَاسًا لِي قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لك مِنْ هَذَا قَالَ: بَلَى يَا رسُولَ اللَه قَالَ: قُلْ سُبْحَانَ الله وَالْحَمْد لِلهِ وَلَا إله إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ يغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَة فِي الْجَنَّةِ[٤].

١٢- **أن الملائكة يذكرون قائلها عند الله تعالى**: جاء ذلك في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضْلًا يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذكرِ فَإِذَا وجَدُوا مَجْلسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بْأجنحتهم حَتَّى يَمْلئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا

(١) جمع قاع، قال ابن الأثير: القاع: المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٣٢-١٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٦٢) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠) في صحيح الجامع برقم (٥١٥٢).

(٣) انظر: جزء في تفسير الباقيات الصالحات، للحافظ العلائي، تحقيق بدر الزمان محمد شفيع، ص٣٦، والوابل الصيب لابن القيم، ص١٠٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٠٧) والحاكم في المستدرك برقم (١٨٨٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه «ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦١٣).

وَصَعِدُوا إلى السَّمَاءِ قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَاد لَكَ فِي الأَرْضِ يسَبِّحُونك وَيُكَبِّرُونَكَ ويُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ. . . . الحديث[1].

فيا للشرف: ملائكة ربك يذكرونك بين يدي ربك بالخير!!

١٣- **هذه الأربع تفتح لها أبواب السماء فتصعد إلى الله تعالى**: يدل على ذلك حديث ابن عمر ﷺقال: «بَيْنَمَا نحْنُ نُصَلِّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺإِذْ قَالَ: رَجُلٌ مِن الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَر كَبِيرًا والْحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذا وَكذا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا فُتحت لَهَا أَبْوَابُ السماءِ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تركتهُنَّ مُنْذُ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ ذَلك[2].

وفي هذا الحديث دليل على أن هذه الكلمات إذا قالها المؤمن صعدت إلى الله تعالىَ ولذلك تفتح لها أبواب السماء. جاء توضيح صعود هذه الكلمات عن عبد الله بن مسعود ﷺ حيث قال لأصحابه: «إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب اللّه، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله واللّه أكبر وتبارك الله أخذهن ملك فجعلن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلىَ السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحَيِّى[3] بِهِنّ وجْهَ الرحمن ثم قرأ عبد الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ

(١) متفق عليه: البخاري برقم (٦٠٤٥) ومسلم برقم (٧٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٦٠١).

(٣) يحيي -الحاء المهملة، وتشديد الياء المثناة تحت-: من التحية وفى بعض الروايات: يجيئ -بالجيم-، وانظر: الترغيب و الترهيب، للمنذري (٣/٤١٨) رقم (٢٣١٣).

ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠][(١)].

والكَلِمُ الطيب هو: الذكر والدعاء[(٢)].

١٤- هذه الأربع تتعاطف حول العرش تذكر بقائلها عند الله: كما في حديث النعمان بن البشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «الَّذِينِ يذكُرُونَ مِنْ جَلالِ اللهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ يتعَاطَفْنَ حَولَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دوىٌ كَدَوِىِّ النحل يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ أَلاَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللهِ شَيء يُذكرُ به»[(٣)].

فهذه الكلمات تدور حول العرش، تذكر قائلها عند المولى ﷻ، والإكثار منها يزيد المؤمن فضلًا عند الله تعالى: جاء في حديث طلحة بن عبيد اللّه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤمِنٍ يعَمِّرُ فِي الإِسْلامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِه**»[(٤)]، وفى لفظ: «**ويكثر تكبيره وتسبيحه وتهليله وتحميد**»[(٥)].

١٥- أنها ثقيلات في الميزان يوم القيامة: وقد دل على ذلك قول

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٣٥٨٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي وانظر مختصر العلو للألباني، ص١٠٤ برقم (٤٩).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبرى (١٠ / ٣٩٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٥٥٦).

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٨٨٥٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٥٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٤٠١) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٧١) السلسلة الصحيحة رقم (٦٥٤).

(٥) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٨١٨).

الرسول ﷺ: «بَخٍ بَخٍ[١] لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي المِيزَانِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحتَسِبُهُ وَالِدُهُ»[٢].

١٦- هذه الكلمات من الباقيات الصالحات اللاتي ذكر الله تعالى شأنهن في كتابه العزيز:

يقول ﷻ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم].

فقد سبق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «. . . **فإنهن يأتين يوم القيامة مجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات**»[٣].

وفي لفظ: «**فإنهن يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات**»[٤] فهذه الكلمات تنجي صاحبها من النار، وتكون مقدمات بين يدي قائلها ومعقبات من ورائه لستره وحمايته من النار.

ووردت في تسميتها بالباقيات الصالحات آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين منها:

ما ورد أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قيل له: ما الباقيات الصالحات؟ فقال:

---

(١) يروى بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء على أنه مبنى ويروى التنوين فيهما، ويروي بتنوين الأولى وسكون الثانية، ويروى بالعكس وربما شددت، وهي كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه وبيان الرضا به وتكرر للمبالغة. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٠١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٠٧٦)، وصححه الحاكم في المستدرك برقم (١٨٨٥) ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات، «مجمع الزوائد» (١/ ٤٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

«هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وورد مثل هذا عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ﷺ وعن سعيد بن المسيب والحسن وقتادة -رحمهم الله-[١].

ولكن اختلف أهل العلم في هل الباقيات الصالحات محصورة في هذه الكلمات الأربع أو الخمس أم لا؟[٢].

والراجح أنها غير محصورة في هذه الكلمات، بل هي شاملة لها ولغيرها من الطاعات القولية والعملية الظاهرة والباطنة كما جاء عن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله ﷻ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف] ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

قال: «هي ذكر الله قول: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض»[٣].

ويستفاد من هذه الرواية وجه تسمية العبادات بالباقيات الصالحات؛ لأنها تبقى لأهلها في الجنة فسميت بذلك مقابلة لها بالفانيات الزائلات وهي غير

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١٦١).
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبرى (٨/ ٢٩٩).
(٣) المرجع السابق (٨/ ٢٣٢).

العبادات من الدنيا وما فيها[١].

ومع القول بعدم حصر الباقيات الصالحات في الكلمات المذكورة، كما في رواية ابن عباس، وكما ذهب إليه المحققون من أهل العلم، فإن هذه الكلمات هي أَوْلَى ما سُمِّيَتْ بالباقيات الصالحات لما ثبت لها من الفضل الذي لم يثبت مثله لغيرها من العبادات[٢].

❁ ❁ ❁

هذه الكلمات تجْزِئ عن القرآن لمن لا يستطيع شيئًا منه:

فقد جاء في الحديث عن ابن أبي أوفى ﷺ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ إِنِّي لا أستطيع أن آخذ مِنَ الْقُرْآنِ شَيئًا فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ.

قَالَ ﷺ: قُلْ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ولاَ حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا لِلهِ ﷻ فَمَا لي؟ قال ﷺ: اللهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي. فَلمَّا قام قَال هَكذاَ بِيَدِهِ. فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: أَمَّا هذا فَقَد مَلأ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ»[٣].

* فالنبي ﷺ جعل هذه الكلمات مجزئة من القرآن الكريم في حق من لا يستطيع أخذ شيء منه، وهذا دليل على عظم موقعها وزيادة فضلها على غيرها ومناسب تمامًا لما سبق ذكره من أن هذه الكلمات هي أفضل الكلام بعد القرآن الكريم.

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (٦ / ١٨١٩).
(٢) تفسير البغوي (٥ / ٢٥٣) وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص٤٧٩: ٤٩٩).
(٣) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٨٣٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٧٩٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٧٨٥).

* وهذا الحديث وغيره في معناه دال على أن هذه الكلمات الخمس هي أولى ما ينبغي العناية بتعلمه وتعليمه بعد القرآن الكريم، وهذا فضل اختصت به هذه الكلمات وزادت به على غيرها من الكلمات الطيبات[1].

❁ ❁ ❁

وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: سبحان الله.

أُنَزِّهُكَ ربى عما لا يليق بك من أي نقص أو سوء أو عجز أو شبه ذلك، فيا أخي الذاكر: لم لا تسبحه وتقدسه؟! والكون من حولك له منزه، ولجلاله مسبح، ولعظمته خاضع كما قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء].

ولو امتلأ قلبك -حقًا- بتعظيم المولى سبحانه، وتقديسه هل سيقبل كثيرًا مما يشاهده، ويعايشه من أمور تتنافى مع تسبيح المولى ﷻ؟

* أو لم يخرقْ سمعك اتهام شرع الله بالقصور عن مسايرة العصر الحديث، وعدم ملائمته لحياتنا العصرية؟

* أو لم تصلك دَعَاوَى التحرر من القيم، والمُثُل كالحجاب، وقواعد الميراث، وضوابط مكانة المرأة في الإسلام؟

* أولم يلفت نظرك صيحات المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض على قوامة الرجل وتحريم الخمر، والربا؟

---

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/٤٤٨) وما بعدها.

* أهذا واقع مسبح-حقا- لله ﷻ ؟! وهذا حال مسلمين ينزهون مولاهم كما ينبغي!

* أولًا تستحضر ركب الصالحين من قبلك.

ركب الصالحين

* كان خليد العصري يذكر الله حتى تطلع الشمس وينادي قائلًا: مرحبًا بملائكة ربي والله لأُشهدنكم اليوم من نفسي خيرًا خذوا: سبحانَ الله والحمد لله ولا إله إلا الله واللّه أكبر[1].

* وسئل (عمر بن هانئ) كم تسبح كل يوم؟ قال: مائة ألف تسبيحة إلا أن تخطئ الأصابع: يعنى أنه يعد ذلك بأصابعه[2].

* أَمِنَ الصدق: طاعة المخلوق وعصيان الخالق؟ وتحليل الحرام وتحريم الحلال؟

* أَمن الصدق: سوء الظن بالله ﷻ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

* فيا مَنْ أسأت الظن بربك في رزقه، وفي عطائه، وفي قدره. قف وتب. **فما سبحته حق تسبيحه.**

* يا مَنْ اعتقدت أن الله مُتَخَلٍّ عن رسله وأوليائه، وليس بناصر دينه وكتابه. قف وتب. **فما سبحته حق تسبيحه.**

* يا مَنْ اعتقدت في الأسباب ونسيت المسبب، اعرف قدر ربك، وتب إليه. **فما سبحته حق تسبيحه.**

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم (١/ ٣١٣).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص٣٨٨.

* يا مَن صنعت السوء، وأهملت المعروف أتظن أنه لا يراك؟ أتظن أنك لن تحاسب؟ أتظن أنك تعجزه؟ قف وتُب. **فما سبحته حق تسبيحه.**

- يا من اعتقد أن الله ظلمه، نعم لا يقول المرء هذا بلسانه لكنه يعتقده بقلبه، آه لو كنت من عائلة كذا، آه لو أعطاني الله مالًا، أو صحةً، أو جاهًا، فأنا عندي من المواهب ما ليس لدىَ فلان ولكنه القدر، اصدق وفتش عن قلبك وتب إلى مولاك. **لأنك ما سبحته حق تسبيحه.**

. ولقد أخبرنا النبي ﷺ ببعض من ذلك حيث قال: «**قَالَ اللهُ كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِك، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لي وَلَد، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**»[1].

سباق نحو الجنان

* ولكي تنال ثواب تسبيحك، اعلم أن التسبيح ليس قولًا مجردًا، بل هو سلوك، واتصال بالله سبحانه، واستمداد منه ﷻ ومن شرعه، ومن ثَمَّ إعداد النفس البشرية، ومدّها بأسباب الحياة، وعوامل القوة، كي تستطيع الوصول إلى دار الرحمة والرضوان.

* فأحضر قلبك، وأقبل بعقلك على هذا الذكر، كي تفوز بالجنان واحذر تسبيح الكذابين.

فمن أقبح أنواع الكذب: الكذب في مقامات الدين فأنت تخاطب مولاك مسبحًا ومنزهًا، فهل هذا الخطاب مطابق لحالك، منسجم مع واقعك؟

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٨٢).

يا للحسرة إن كان الجواب لا، ويا للسعادة إن كانت الإجابة نعم! فالله لا ينظر إلى قولك بل إلى عملك، وأمارة صدقك هنا: أن توقن يقينًا لا مراء فيه أن حُكْمَه عَدل، وقضاؤه حِكْمة، وقدره رحمة، وشَرْعه هُدى، ودينه النجاة، ومعصيته هلاك.

* فليس بمسبح للّه- صدقًا- من يشك في شيء من شرعه أو في دينه؟ أو من يعترض على حكمه أو أمره؟

توضيح وبيان

اعلم أخي أن تسبيح الله إنما يكون عن ثلاثة أشياء:

١- **تسبيحه عن العبث في الأقوال والأفعال**: فاللهو مذموم من المخلوق فهل يليق بالخالق؟!

فكأنك عندما سبّحْتَ مولاك: نزهته عن كل لغو من قول، وعن كل سوء من الفعل، فأقواله عدل وأفعاله حِكَم ولا يأمر إلا بكل خير ولا ينهى إلا عن كل شر ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون].

٢- **تسبيحه عن الظلم في الأقوال والأفعال**: فسبحانه هو المتصف بكل كمال فكيف يوصف بالظلم؟

قال ﷻ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٠١].

٣- **تسبيحه عن إضافة الشر إليه**: فالشر هو السوء، وهو نقيض الخير قولًا وفعلًا، فسبحانه منزه عن كل شر، وسوء، وقبح.

وبهذا قال ﷺ: «... **وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيكَ**...»[1].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٠).

وللعلماء أقوال في قوله ﷺ: «والشر ليس إليك».

١- قيل إن المراد: الشر ليس مما يتقرب به إليك.

٢- وقيل إن المراد: الشر لا يصعد إليك بل لا يصعد إلا العمل الصالح والكلم الطيب.

٣- وقيل إن المراد: الشر الذي ليس مما يضاف إليك فلا يقال يا خالق الشر أو يا مقدر الشر وإن كان هو الخالق والمقدر له، ولا يقال يا رب القردة وإن كان هو رب كل شيء.

٤- وقيل إن المراد: الشر ليس شرًا بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمه بالغة وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

٥- وقيل إن المراد: امتناع إضافة الشر إليه ﷻ بوجهٍ مَا، فالشر لا يدخل في شيء من أسمائه وصفاته ولا أقواله وأفعاله، فذاته كمال، وأسماؤه حسنى، وصفاته جلال، و أقواله حكم، وأفعاله عدل، وأقضيته رحمة.

والمراد: تنزيه المولى سبحانه عن إضافة الشر إليه في ذاته؛ أو أسمائه؟ أو صفاته؟ أو أقواله؟ أو أفعاله[1].

قوافل المسبّحين

سبحانك: من مليك ما أمنعك، وجواد ما أوسعك، ورفيع ما أرفعك. ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد.

بسطت بالخيرات يدك، وعرفت الهداية من عندك.

---

(١) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة (٢/ ٢٦٩) وما بعدها.

سبيلك جد، وأمرك رشد، قولك حكم، وقضاؤك حتم، وإرادتك عزم.

لا رادَّ لمشيئتك، ولا مبدل لكلماتك، باهر الآيات فاطر السموات، بارئ النسمات[١].

* سبحانك: ربى الذي في السماء عرشه، وفى الأرض حكمه، وفى الخلق قضاؤه، وفي القبر جزاؤه، وفى البحر سبيله، وفى النار سلطانه، وفى الجنة رحمته، وفى القيامة عدله[٢].

❁ ❁ ❁

الوقفة الثانية: الحمد للّه

أعلم أخي أن الحمد هو:

* الثناء على المولى سبحانه بما هو أهله مع الخضوع، والحب له.

* فاللّه ﷻ له الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

* وله الحمد على نعمه العظيمة، وإحسانه المتوالي على خلقه.

* وله الحمد على ستره وعفوه ورحمته التي سبقت غضبه وعقابه.

* والحمد بالمعنى السابق قريب من المدح والشكر، ولكن هناك فرق بين المدح والحمد والشكر.

* فالمرء قد يمدح جمادًا، أو حيوانًا، أو لؤلؤةً، لكنه لا يحمدهم.

* والمرء قد يمدح إنسانًا لماله أو جاهه، أو منصبه، ولكنه لا يحمده على شيء من ذلك لأن الحمد حاصل لصفات ذاتية في المحمود فالحمد قائم

(١) تسبيح ومناجاة، محمد موسى الشريف ص٤٦.

(٢) المصدر السابق، ص٤٩.

سواء أنعم عليك المحمود أم لا، وبهذا يختلف عن الشكر الذي لا يكون إلا في مقابل فضل وخير، فأنت لا تشكر إلا في مقابل جميل وخير. فلا تشكر شخصًا على علمه أو أدبه، ولكن تحمده على علمه وأدبه.

لهذا فالحمد للّه: أعم من المدح والشكر، لأنه يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، مع الحب والخضوع والتعظيم فمن أحببته ولم تمدحه لم تكن حامدًا له، ومن مدحته لغرض ما ولم تحبه لم تكن حامدًا له؛ لأن المدح ثناء فقط مع عدم الخضوع أو التعظيم للممدوح، بخلاف الحمد الذي هو ثناء للمحمود مع الخضوع والتعظيم له.

فالحمد: لفظ جامع للحب والثناء، وكلاهما لا يكون إلا لمن اتصف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والإحسان للآخرين، ومَنْ يكونُ إلا الله وحده؟!

❁ ❁ ❁

❁ **بلاغه تعبير**: جاءت بالصيغة الإسمية لدلالتها على الثبوت والملازمة، فهي أدق من «أحمد اللّه» أو «نحمد للّه»؛ لأن الفاعل في الأولى هو «أنت» وفي الثانية هو «نحن». لكن الحمد لله بهذه الصيغة لا تختص بفاعل معين **فالمولى سبحانه هو المحمود مطلقًا من كل عبد في كل زمان ومكان.**

❁ لهذا جاءت بلفظ الجلالة (اللّه) وليس الحمد للرزاق الوهاب، لأن (اللّه) هو الإسم الجامع لكل الأسماء والصفات فسبحانه هو المحمود على قدرته وعلمه وسمعه وبصره وكتبه، ورسله، وعدله، وشرعه... إلخ.

❁ فكأنك بهذا الإسم الجامع تُثْني على كل الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأبشر بحديثه ﷺ: «**مَنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ وَالْحَمْدُ لِلهِ مِلْءَ**

مَا خَلَقَ وَالْحَمْدُ لِلهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْض وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْحَمْدُ لِلهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ وَالْحَمْدُ لله مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ وَالْحَمْدُ لِلهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ وَالْحَمْدُ لِلهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ وَسُبحَانَ اللهِ مِثْلَهَا فَأَعْظِمْ ذَلِكَ»[١].

فاحمده أخي:

بلسانك: وذلك بثنائك عليه ومدحك له بصفوف المدح والثناء.

بأفعالك: وذلك بطاعتك له رجاء فضله وثوابه.

بقلبك: وذلك بتقديره وإجلاله وتعظيمه واستحضار هيبته.

سلفُ صالحُ

* قال عمر بن الخطاب ﷺ لرجل سلّم عليه: كيف أصبحت؟ قال: أحمدُ اللّه. قال عمر: ذاك الذي أردت[٢].

* وقال عبد الله بن مسعود لجاريته عندما أخبرته بطلوع الشمس: الحمد لله الذي وهب لنا هذا اليوم، وأقالنا فيه عثراتنا ولم يعذبنا بالنار[٣].

* وقال أبو بكر المزني: ما قال عبد قط الحمد لله إلا وجبت عليه نعمته بقوله الحمد للّه. فجزاء تلك النعمة أن يقول الحمد لله فجاءت نعمة أخرى، فلا تنفد نعم الله عليه.

وسئل أبو عبد الرحمن الحنبلي ﷺ كيف أصبحت؟ قال: «أحمد الله

---

(١) أي ما أعظم ما قال، أو ما أكثر ثوابه. أخرجه أحمد برقم (٢٢١٩٨) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٧٧.

(٣) الأذكار النبوية، الإمام النووي، ص٨٦.

إليك، وإلى جميع خلقه»[١].

* ورد في الأثر: إذا أنعم الله على عبد بنعمة فحمد الله عليها، كان عطاؤه للحمد أفضل مما أُعطي من النعمة.

❁ ❁ ❁

الوقفة الثالثة: لا إله إلا الله[٢]:

* أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ، فهو (اللّه) الذي تألهه الخلائق محبةً له، وتعظيمًا، وخضوعًا وإجلالًا، وذلك لكمال صفاته، وسمو ذاته، وتمام أسمائه.

* لا إله إلا اللّه: كلمة التوحيد التي انقسم الناس بسببها: إلى مؤمن وكافر، وشقي وسعيد، ولأجلها خُلقَتْ الجنة وأُعِدّتْ النار، ولإقرارها وإعلانها أُرسِلَتْ الرسل.

* فاستشعر جلال التوحيد، وسمو قدره، ولو صدقت في ذكرك لهانت أمامك شهوات الدنيا فماذا تمثل لك؟ واللّه ﷻ، هو ربك، هو إلهك، ومعبودك ومحبوبك... فَمَنْ في الكون يستطيع مزاحمة حبه أو إزاحة عظمته من على عرش قلبك؟

* هنا استحضر بذكرك أنك إلى الله وحده متوجه وإليه صائر، ومن عنده تلتمس الخير، وتطلب النجاة..

* إن الموحد لربه -على الحقيقة- يخاف ويطمع ويحذر ويرقب، ويرجو ويتمنى، ولكنه في كل ذلك مرتكن إلى ركن قوي، وسند عظيم، وكله يقين في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) عدة الصابرين، لابن القيم، ص١٢٨ وما بعدها.

(٢) سبق تفصيل القول حول هذا الذكر في أكثر من حديث في هذا الكتاب.

الوقفة الرابعة: الله أكبر:

* بصيغة التفضيل فهو الأكبر من كل سيد، وعظيم، وعزيز، وعليم، وقوي، وقدير، وغني، وهو الموصوف بكل جلال، والمنعوت بكل كمال، فليصْغُرْ بجواره كل جليل، وليتضاءلْ أمامه كلّ عظيم.

* نعلنها ولو كره الحاقدون؛ امتثالًا لأمره ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء].

* إثبات لكبريائه، وتعظيم لأمره، وانخلاع عمَّا سواه.

* قول يصدر عن معتقد قلبي يدفعك إلى الخوف منه، وإلى مراقبته، والتزام طاعته إذ كيف باللّه عليك تجرؤ أن تعصي الكبير المتعال؟

* معتقد يُورثك أنه الكبير العظيم الذي لا يُقْهَر، والكبير العدل الذي لا يرضى بالظلم في مملكته ولا بالطغيان بين خلقه، فاخضع له وتواضع لأمره، واحذر الكبر علمك ذلك المولى ﷻ في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر]، وأخبرك النبي ﷺ في قوله: «**يُحشَرُ الجبارون والمتكبرون أمثال الذر يطؤهم الناس**»(١).

* معتقد يُورثك الثقة في عدله، واليقين في حكمته، وأنه قاصم كل ظالم، ومدمر كل باغية، فلا تعجبك هيئة الظالمين، ولا يغرك مال الطاغين. فلكل ظالم نهاية ولكل باغية جزاء من المليك المتعال.

قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٦٦٧٧) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٣٤٤).

وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف].

* الله أكبر من كل كبير فكيف يحتل عبد مقهور مكانة في قلبك ومن ثم في توجهك، وسيرك، وعيشك ما كان له أن ينالها؟

* كيف يوجهك مربوب وأنت أعلنت أن قيادك، وسيرك إنما هو من عند الله الأكبر؟ قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[التوبة].

* أمارة صدقك فيها أن يكون خضوعك لله ﷻ، ومِن ثَمّ لا حُكْم إلا حكمه، ولا أمر إلا أمره، ولا حلال إلا ما أحلّ، ولا حرام إلا ما حَرّم. وإن لم تكُنْ معظِمًا لربك، فاحذر الكذب في ذكرك، ولتستدع مواقف الصالحين.

❁ ❁ ❁

وللتكبير مكانته:

التكبير مشروع في الأمور الكبيرة، وذلك كي يسيطر كبرياء الله على كبرياء تلك الأمور، فيكون الدين والكبرياء كله للّه؛ ولهذا كان التكبير:

١) **شعار الصلاة:** فاللّه أكبر من كل شاغل يشغلك أو عمل يلهيك، فحقه هو الحق وفرضه هو الفرض.

٢) **شعار المجاهدين:** قال ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»[(١)] فنحن أمة مجاهدة، شعارها التكبير كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن جيش القسطنطينية «أنه يتقدم أسوارها بالتكبير»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٧١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٢٠).

٣) **شعار الحياة:** «فعن ابن عمر ﷺ أنه قال: «بَيْنَمَا نَحنُ نُصلِّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَومِ اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ ﷺ: عَجِبْتُ لَهَا فُتِحَت لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ»[(١)].

٤) **التكبير ذكر الصعود:** كما ثبت عن جابر ﷺ كنا مع رسول الله ﷺ إذا عَلَونَا كَبَّرنا، وإذا هبطنا سبَّحْنَاه[(٢)].

٥) **التكبير رجم الشيطان ونحن في الحج:** كما قال ﷺ: «**الشيطان ترجمون وملة أبيكم إبراهيم تتبعون**»[(٣)].

٦) **التكبير شعار وذكر:** ومن ذلك تكبيرك عند استقبال الحجر الأسود، واستفتاح الصلوات ودبرها، وعند الشروع في الطواف حول الكعبة، وعند الصفا والمروة، وعند ركوب الدابة في السفر، واحذر التعالي والكبر وتدبر قوله ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف].

وقوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾. [غافر: ٣٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٣١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (١٧١٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١١٥٦).

هلا سألت نفسك! ما الذي يجمع بين الأصنام التي تُعْبَدُ، والأشخاص التي تُقَدّسُ من دون الله؟

الجامع بينهم التقديس والتعظيم الذي هو العظمة والكبرياء؛ لهذا جاء أمر ربك واضحًا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أي كبّر أمره، وشرعه، ورسله، وأولياءه.

رأيتُ اللـه أكبرَ كلّ شيءٍ مُحَاولةً وأكْثَرهُمْ جُنُودًا[١]

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «**قول العبد: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها**[٢]».

وقال ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[٣].

وصدق ﷺ في قوله لعديّ: «**يا عديّ ما يُفِرُّك (يحملك على الفرار)؟ أيُفِرُّك أن يُقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلمُ من إلهٍ إلاّ الله؟ ما يُفِرّك؟ أيُفِرُّك أن يُقَالَ: الله أكبر؟ فهلْ من شيء أكْبَرُ مِنَ اللّه؟**[٤].

فالتكبير إذًا: هدى مشروع، وذكر مأثور عند كل أمر عظيم؛ لأن المراد امتلاء القلب بتعظيمه سبحانه، فلا خوف إلا منه ولا رجاء إلا فيه، ولا توكل إلا عليه.

❁ ❁ ❁

فيا أخي الذاكر:

❁ إن هَالكَ وأَفزَعَكَ قوةٌ عظمى من البشر أين ذكرك: الله أكبر؟

❁ وإنْ أدهشك مال فلان أو جاهه أو منصبه أين ذكرك: الله أكبر؟

---

(١) شرح ابن عقيل (٢/ ٢٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٠/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٩١٢٩) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٤١٦٥).

(٤) أخرجه أحمد برقم (١٩٤٠٠) وصححه الألباني في تخريج الطحاوية برقم (٨١١).

* وإن رَاعَك شيء أو أقلقك أين ذكرك: الله أكبر.

والنبي ﷺ قرن بين التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير لعدة أمور -والله أعلم بمراده منها:

أولًا: سبحان الله والحمد لله: إن الجمع بين التسبيح والتحميد من أكمل صيغ الثناء على الله ﷻ ففي التسبيح نَفْيٌ للنقائص كلها عن الله ﷻ، وفي التحميد إثباتٌ لكل كمال وجلال للمولى ﷻ كما سبق بيانه.

ثانيًا: سبحان الله ولا إله إلا الله: التسبيح المقرون بالتهليل له دلالة عظيمة في مقام الثناء على الله سبحانه. فالتهليل نفي للإلهية عن كل ما سوى الله، وإثبات له وحده لا شريك له، فجاء الاقتران بينهما لبيان أن التسبيح تقرير لمعنى التهليل وتحقيق لتنزيه الله وتوحيده.

كما قال ﷻ عن نبيه يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء].

وعن يسيرة بنت ياسر قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «**يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ عَلَيْكُنَّ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّسبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ ولاَ تَغْفلْنَ فَتَنْسَيْنَ التوحيدَ**». وفي رواية: «الرحمة»[(١)].

ثالثًا: سبحان الله والله أكبر: إن بين التكبير والتسبيح مناسبة تامة، فكل منهما يتضمن التعظيم والإجلال لله ﷻ فالله مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقص، وبالتالي فهو الأكبر من كلِّ شيء، ولا مِثْلَ له[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٨٣) وأبو داود برقم (١٥٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٠٨٧).

(٢) انظر: التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢١١).

وما أروع قول الرسول ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»(١).

فهذه الكلمات الأربع تتضمن معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ففيها كمال المدح وتمام الثناء على الله تعالى(٢).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٢٥٢).

الصلاة على النبي ﷺ

من صيغها:

١) قال بشير بن سعد: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَكَيْفَ نُصَلي عَلَيْكَ. قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَيت عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَالسَّلاَمُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»[(١)].

٢) عن أبي حميد الساعدي أنه قال: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْك؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٤٠٥) وقوله: السلام كما قد علمتم. أي كما علمتم التشهد، وهو قولهم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. قاله النووي في شرحه لمسلم (٢/ ٣٦٥).

(٢) متفق عليه: البخاري برقم (٣٣٦٩)، ومسلم برقم (٤٠٧).

٣) وعن كعب بن عجرة قال: «يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك فكيفَ نصلّي عليك؟ قال: «**قُولوا اللّهُم صلِّ على مُحَمّدٍ وعلى آلِ مُحَمد كَما صَليت على آلِ إبْراهِيم إنّك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[(١)].

٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ ﷺ: «**فَقولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)].

٥) وعنْ عُقْبَةَ بْنِ عمرو قَالَ ﷺ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٥٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٥٨).

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٧١١٣) وأبو داود برقم (٨٣١٩) وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٩٣١).